النشر الالكتروني - مجلة الحكمة
رقم : ٣٠/٦٤
تاريخ : ١٤٤٧/٠٧/١١هـ الموافق ٢٠٢٥/١٢/٣١م

الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة ودورها في تشكيل المجال الإسلامي المبكر

إعداد:
د. خلف بن علي بن سعد العوفي

بالحفاظ على الهوية التاريخية والجغرافية للمدينة وحماية تضاريسها الطبيعية، وتوجيه التخطيط العمراني وفق هذه الخصائص، وتعزيز الدراسات التاريخية والجغرافية لدعم التنمية المستدامة، وصيانة وتطوير المسجد النبوي الشريف لاستيعاب الزيادة المستمرة للزوار والمصلين، مع التركيز على الاستثمار في التعليم والثقافة للحفاظ على مكانة المدينة العلمية والدينية .

الكلمات المفتاحية :المدينة المنورة، الجغرافيا التاريخية، المجال الإسلامي المبكر، المسجد النبوي، التطور العمراني، الثقافة الإسلامية.

Abstract

This study aims to examine the historical geography of Al-Madinah Al-Munawwarah and analyze its role in shaping the early Islamic realm, focusing on its geographic location, natural topography, climatic characteristics, historical population composition, and the role of various tribes in social and political transformations since the Prophet's migration (Hijra). The research adopts a historical-analytical methodology through reviewing written historical and geographical sources, archival documents, and field studies concerning urban development and the Prophet's Mosque as a center for worship, education, and administration. The findings reveal that Al-Madinah Al-Munawwarah served as the heart of the early Islamic realm, unifying tribes and emigrants, hosting a center for culture, knowledge, and governance, and contributing to urban and Islamic cultural development as a sustainable civilizational beacon. The study recommends preserving the city's historical and geographical identity, protecting its natural topography, guiding urban planning accordingly, enhancing historical and geographical studies to support sustainable development, maintaining and expanding the Prophet's Mosque to accommodate increasing visitors, and investing in education and culture to uphold the city's scientific and religious significance.

Keywords: Al-Madinah Al-Munawwarah, historical geography, early Islamic realm, Prophet's Mosque, urban development, Islamic culture.

الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة ودورها فى تشكيل المجال الاسلامى المبكر

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، أيها الأحبة، أوصيكم ونفسي المقصّرة أولًا بتقوى الله، فهي زاد المؤمن وسلاحه في الدنيا والآخرة، واعلموا أن الله سبحانه وتعالى أمر بالعدل والإحسان ونهى عن الظلم، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

شهدت المدن السعودية خلال العقود الأخيرة نموًا سكانيًا متسارعًا، مصحوبًا بارتفاع معدلات الهجرات الداخلية نحو المراكز الحضرية، تزامن هذا مع خصائص طبيعية وجغرافية مميزة، أبرزها انتشار الأودية التي تتخلل النسيج العمراني للمدن، ما دفع الامتدادات العمرانية للتوسع بمحاذاة هذه المجاري المائية. غير أن هذا التوسع جعل بعض المناطق السكنية أكثر عرضة للمخاطر البيئية، إذ قد يؤدي تدفق مياه الأمطار إلى سيول وفيضانات، خاصة مع ضعف البنية التحتية في هذه المناطق. ومن هذا المنطلق، تم اختيار المدينة المنورة نموذجًا ميدانيًا لدراسة تأثير الزحف العمراني على منظومة الأودية الداخلية، لما تشهده من تزايد الكثافة السكانية، ومكانتها الدينية التي تستقطب أعدادًا كبيرة من السكان والزوار نظرًا لوجود المسجد النبوي الشريف فيها.([1]).

ومن هنا يهدف هذا البحث إلى دراسة الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، وتحليل كيف أسهم موقعها وخصائصها الطبيعية في تعزيز مكانتها كمركز حضاري وسياسي وديني في بدايات الدولة الإسلامية، إضافة إلى تسليط الضوء على تأثير هذه العوامل على توسع المجال الإسلامي المبكر وربطه بالمناطق المجاورة.

([1])الحربي، شفا رضي مرشد و داودي محمد بن العباس، (٢٠٢٤): "أثر الزحف العمراني على نظام أودية المدينة المنورة من خلال تطبيقات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية"، المجلة المصرية للتغير البيئي، مج ١٦، رقم ٥، ص ٢٢٣-٢٤٥.

ومن خلال هذا التحليل، يمكن فهم العلاقة الوثيقة بين الجغرافيا والتاريخ في تشكيل النسيج العمراني والاجتماعي للمدينة المنورة، ودورها الفاعل في نشر الحضارة الإسلامية.

مشكلة الدراسة

تشهد المدينة المنورة تطورًا حضريًا متسارعًا منذ العصر الإسلامي المبكر حتى العصر الحديث، وقد ارتبط هذا التطور بخصائصها الجغرافية الفريدة من موقع تضاريسي متنوع وأودية وشبكات مائية، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي بين بيئات مختلفة. ومع ذلك، لم تُستَكشف بعد بشكل كافٍ العلاقة بين هذه الخصائص الجغرافية وتشكيل المجال الإسلامي المبكر، خاصة فيما يتعلق بالاستيطان البشري، والأنشطة الاقتصادية، والانتشار الحضاري، والتوسع العمراني المرتبط بالموقع الطبيعي.

أسئلة الدراسة

١. ما هي الخصائص الجغرافية والتضاريسية للمدينة المنورة في العصور الإسلامية المبكرة؟

٢. كيف أثّر الموقع الطبيعي للمدينة المنورة على أنماط الاستيطان والنشاط الاقتصادي والاجتماعي فيها؟

٣. ما دور المدينة المنورة في تشكيل المجال الإسلامي المبكر استنادًا إلى موقعها الجغرافي والتاريخي؟

٤. كيف ساهمت الموارد الطبيعية، مثل الأودية والحرات، في توجيه التطور الحضاري والعمراني للمدينة؟

أهداف الدراسة

- تحليل الخصائص الجغرافية والتضاريسية للمدينة المنورة.
- استكشاف تأثير الموقع الطبيعي على أنماط الاستيطان والنشاط الاجتماعي والاقتصادي.
- تقييم دور المدينة المنورة في توسيع المجال الإسلامي المبكر.
- توضيح العلاقة بين الجغرافيا والخصائص العمرانية والتوسع الحضاري في المدينة عبر العصور.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة الجغرافيا التاريخية للمدينة وربطها بالتطور الحضاري من خلال استخدام المصادر التاريخية، الجغرافية، الخرائط القديمة، والمراجع العلمية الحديثة.

مراجعة الأدبيات

أولاً: الخصائص الجغرافية للمدينة المنورة

الموقع الجغرافي

تقع المدينة المنورة في موقع جغرافي مميز أسهم عبر التاريخ في تشكيل خصائصها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، إذ ترتبط بيئتها كجزء من شبكة مكانية مترابطة تتفاعل فيها العوامل الطبيعية والبشرية. تتموضع المدينة بين خطي طول (٣٦°٣٩′–٤٢°٣٩′) شرقًا ودائرتي عرض (٢١°٢٤′–٣٦°٢٤′) شمالًا، في الجزء الغربي من المملكة وعلى بُعد نحو ١٥٠ كم شرق البحر الأحمر بارتفاع يناهز ٦٠٠ م عن سطح البحر. وتقوم على هضبة تنحدر تدريجيًا شمالًا، ويحدها جبل أحد من الشمال وجبل عير من الجنوب الغربي، بينما تحيط بها من الشرق والغرب حرات بركانية بازلتية شكّلت عبر الزمن حواجز طبيعية منحتها خصوصية جغرافية وهوية عمرانية متفردة.(١).

تُعدّ المدينة المنوّرة مركزًا حضريًا بارزًا في الحجاز، اكتسبت أهميتها من ارتباطها بجبال الحجاز وسهل تهامة وساحل البحر الأحمر، مما منحها ظهيرًا جغرافيًا متوازنًا يجمع بين الحماية الطبيعية عبر الجبال والتفاعل الاقتصادي عبر الساحل، فبرزت حلقة وصل بين البيئات الداخلية والساحلية ضمن المحور الحضاري الممتد من نجران إلى تبوك. وتتميّز المدينة بموقع استراتيجي وسط المملكة، فهي تشكّل رأس مثلث شبه متساوي الأضلاع مع مكة المكرمة وجدة، وتتموضع على مسافات متقاربة من مدن كبرى مثل الوجه،

(١)العبيدي، حنان بنت حسن مربع و أبو كريشة، ناريمان علي درويش، (٢٠٠٩): "العلاقات المكانية بالمدينة المنورة: دراسة جغرافية تحليلية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، المدينة المنورة، ص ٣٥-١٠٠.

حائل، وبريدة، ما يجعلها كأنها مركز دائرة يتراوح نصف قطرها بين ٤٢٥ و٥٤٠ كم، تنتظم حولها المدن الرئيسة، ويعكس ذلك دورها المحوري في البنية العمرانية الوطنية كما في الشكل (١)المقابل.

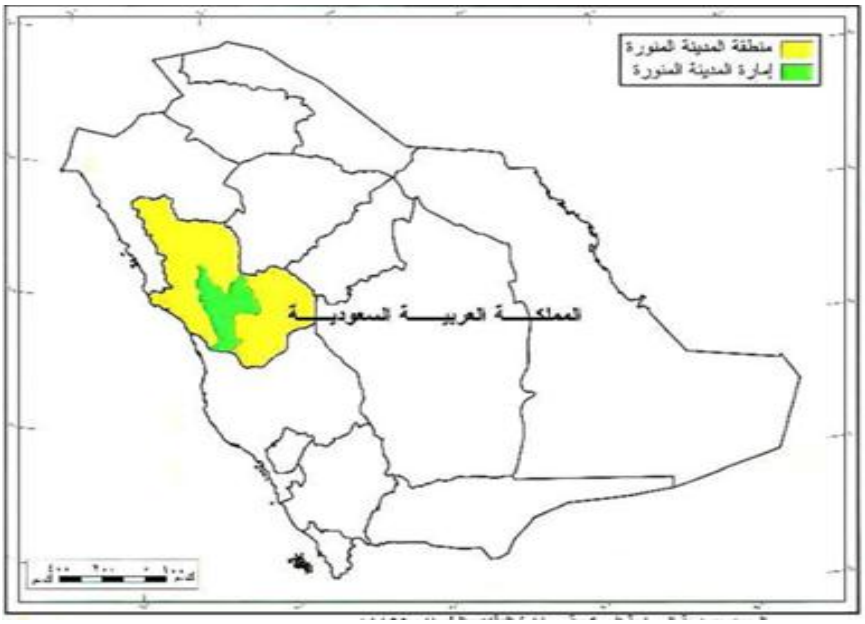

الشكل ١ موقع منطقة الدراسة بالنسبة للمملكة (العبيدي، ٢٠٠٩).

تتجاوز أهمية موقع المدينة المنورة بعدها الوطني لتشمل أبعاداً إقليمية ودولية واسعة، إذ تبعد عن الرياض نحو ٦٨٠ كم، وعن بريدة ٤٤٠ كم، بينما يُعد ميناء ينبع الأقرب إليها بمسافة ٢٢٠ كم، ما جعله منفذاً بحرياً رئيسياً لتجارتها وإمداداتها. ويكتسب موقعها قيمة تاريخية لوقوعها على مسار الخط التجاري القديم بين اليمن والشام، كما تتعزز أهميته الحديثة بالمشاريع الاستراتيجية مثل إحياء خط سكة حديد الحجاز/الشام الذي سيعيد ربطها بشبكة عمرانية داخل المملكة وخارجها، وصولاً للأردن وسوريا والعراق ولبنان وتركيا. كما تتميز المدينة بارتباطها القوي بشبكة الطرق الرئيسة، ما جعلها من أكثر المدن السعودية اتصالاً بالمناطق الأخرى وبالدول المجاورة عبر طرق دولية، لتصبح مركزاً تنموياً وحضرياً نشطاً ومحور حركة على المستويين المحلي والدولي(١).

(١)رجب، عمر الفاروق السيد، (١٩٧٦): "المدينة المنورة - العلاقات المكانية واقتصاديات الموقع"، مجلة الخفجي، العدد ٢٨، ص ٢٣-٤٠.

الموضع

تُعَدُّ مظاهر السطح انعكاسًا مباشرًا للبنية الجيولوجية، إذ تُعَدّ هذه الأخيرة من أهم العوامل التي تؤثر في تشكيل سطح الأرض وتحديد ملامحه المختلفة من ارتفاعات وانخفاضات، وذلك تبعًا لطبيعة الصخور ودرجة ليونتها وصلابتها، إضافةً إلى تكويناتها الجيولوجية المتعددة والمتباينة. ومن هنا تبرز أهمية دراسة مظاهر السطح، حيث يُنظر إليها باعتبارها المسرح الجغرافي الذي تُعرض عليه جميع الظواهر الطبيعية والبشرية على حد سواء. فالسطح بخصائصه الجيومورفولوجية يُشكل إطارًا عامًا تتحرك ضمنه الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، كما أن له دورًا مؤثرًا في رسم أنماط النشاط البشري وتوزيعه(١).

مثّلت السهول عبر التاريخ أماكن جاذبة للاستقرار البشري بفضل سهولة الحركة وخصوبة التربة وتوفر المياه، مما جعلها مواقع للتجمعات العمرانية الأولى. إلا أن التطور الهندسي الحديث مكّن الإنسان من تجاوز هذا النمط، فامتد العمران إلى الجبال والمرتفعات والمناطق الوعرة. وقد أدى ذلك إلى تغيّر صفات المكان الطبيعية وتحويلها إلى مظاهر حضارية جديدة، كما هو الحال في المدينة المنورة؛ حيث أُنشئت الجسور كسد وادي بطحان، وشُقّت الطرق والأنفاق عبر الجبال، وسُوّيت التلال في الحرات لإقامة أحياء جديدة. وهكذا أصبح الامتداد العمراني في المدينة مرتبطًا بخصائص التضاريس التي قيّدت التوسع في بعض الجهات، وسمحت به في جهات أخرى كالشمال الشرقي والشمال الغربي والغرب.(٢).

تُعدّ المدينة المنورة جزءًا من إقليم الحجاز ذي الطبيعة الجبلية المميزة، حيث تنخفض ارتفاعات السلسلة الحجازية تدريجيًا حتى تصل إلى نحو ٣٠٠٠ قدم عندها، وتشكل هذه الجبال مع ساحل البحر الأحمر سهل تهامة الذي يضيق بدرجة كبيرة في منطقة المدينة. ويتميّز هذا السهل بانتشار الحرات البركانية والسبخات، إضافةً إلى الأودية الكبرى مثل وادي الحمض القريب من المدينة، والتي تحمل السيول عبر

---

(١)خوجلي، ودة، و مصطفى، محمد، (٢٠٠٢): "مع الدكتور الرويثي في كتابه: جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة"، ص ١٨٦-١٩٢.

(٢)مكي، محمد شوقي بن ابراهيم، و محمد شوقي بن ابراهيم، (٢٠٠٨): "اتجاهات التغيير في النمو والتركيب السكاني في منطقة المدينة المنورة (١٣٩٤-١٤٢٥هـ) ١: النمو والتوزيع"، ص ١-٢٥.

العصـور رواسـبها إلى السـهل السـاحلي، مما أسـهم في تكوين تربة خصـبة جعلت تهامة منطقة زراعية مهمة تاريخيًا(١).

وتقع المدينة المنورة عند بداية الثلث الشـمالي الأخير من هذه السـلسـلة الجبلية، وتحديدًا عند نهاية حرة رهط، وهي من أكبر الحرات من حيث المسـاحة والامتداد. وترتفع المدينة عن سـطح البحر بنحو ٦١٩ مترًا (٢٠٣٠ قدمًا)، وهو ما يمنحها خصـائص مناخية وتضـاريسـية مميزة، ومن خلال دراسـة الخرائط الكنتورية، كما يتضـح في الخريطة رقم (٣)، يظهر جليًا الانحدار الحاد لهذه السـلسـلة باتجاه السـهل السـاحلي الذي يضيق بشكل كبير في الواجهة المقابلة للمدينة، حيث تتقارب خطوط الكنتور بسرعة عند مستويات تصل إلى ٦٥٠ مترًا تقريبًا على مسـافة ٢٤٠ كيلومترًا من السـاحل. أما خط السـاحل نفسـه، فيتسـم بالاسـتقامة شـبه التامة مع قلة التعاريج والانثناءات، وهو ما يعكس طبيعته الانكسارية.(٢).

(١)عمر، محمد علي، (٢٠١٨): "مواقع السـياحة الدينية في المدينة المنورة في ضـوء رؤية المملكة ٢٠٣٠ باسـتخدام نظم المعلومات الجغرافية"، المجلة العلمية بكلية الآداب، ٢٠١٨(٣٣)، ص ١٩٨-٢٦٨.

(٢)رجب، عمر الفاروق السيد، (١٩٧٦):مرجع سابق،ص٥٤-٦١

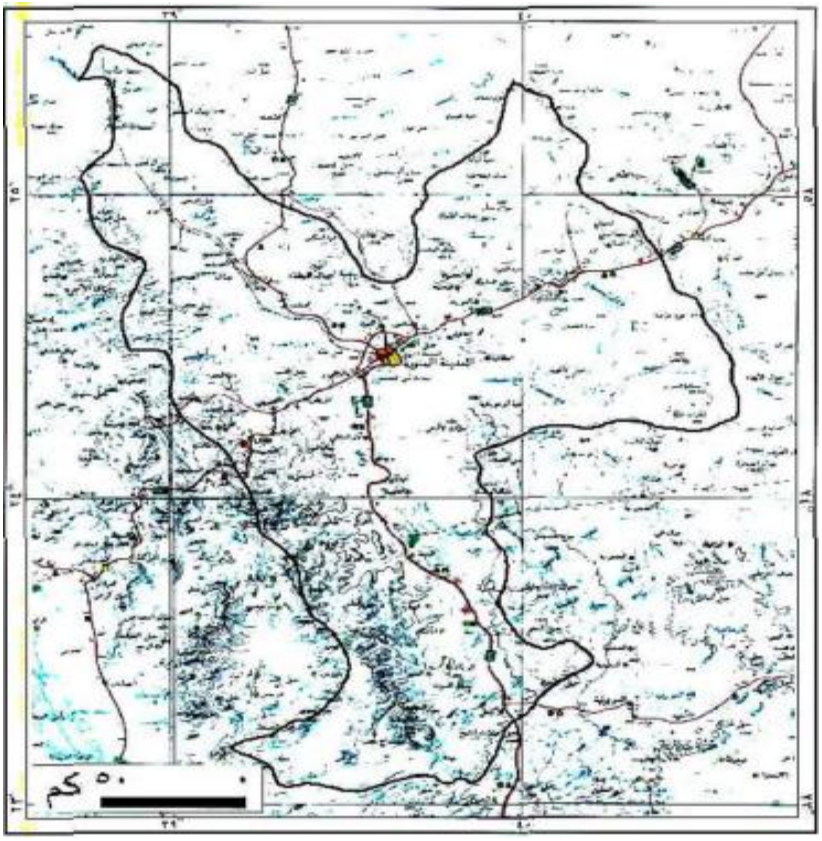

الشكل ٢ طبوغرافية محافظة المدينة المنورة(من تصميم العبيدي، ٢٠٠٩)

وإذا ما انتقلنا إلى وصف السلسلة نفسها، نجد أن خطوط الكنتور تتباعد فوق سطحها، مما يوضح انبساطها النسبي مع متوسط ارتفاع يبلغ نحو ٢٠٠٠ قدم، وعرض يتراوح ما بين ٧٥ إلى ١٢٠ كيلومترًا. كما أن اتجاهات الأودية في هذه المنطقة تتخذ اتجاهًا عامًا من الجنوب نحو الشمال، تبعًا لانخفاض المنسوب، قبل أن تتجه غربًا نحو مصباتها في البحر الأحمر. وتتشابه المظاهر التضاريسية العامة للسلسلة الجبلية في القطاع الذي تقع فيه المدينة المنورة مع بقية أجزاء السلسلة، حيث يجمع المشهد العام بين خط ساحلي مستقيم، وسهل ساحلي ضيق تغطيه رواسب الأودية، وحافة جبلية حادة تعلو هذا السهل، ثم سطح السلسلة شبه المنبسط المغطى بتكوينات بركانية في معظم أجزائه. أما من الشرق، فإن السلسلة تنحدر تدريجيًا نحو هضبة نجد، وهو ما يحدد الإطار الطبيعي الأوسع للمدينة المنورة ويمنحها خصائص جغرافية متفردة ضمن المشهد الجغرافي لشبه الجزيرة العربية.

أهم مظاهر السطح

تتميز المدينة المنورة بتضاريس متنوعة تشمل جبالًا وتلالًا وحرات ووديانًا، وتختزل طبوغرافيا المدينة في تسميتين تاريخيتين: العالية، وهي الجزء المرتفع جنوبي وشرقي الكتلة العمرانية الرئيسة بارتفاع ٦٢٠–٦٤٠ م، والسافلة، وهي الأراضي الأدنى داخل المدينة بارتفاع ٦١٠–٦٤٠ م، ما خلق بيئة طبيعية متدرجة انعكست على الاستيطان والنشاط الاقتصادي. تحيط بالمدينة جبال وتلال بارزة مثل جبل أحد (١١١٥ م) وجبل سلع وجبل الحرف وجبال أخرى متفرقة شمالًا وغربًا وجنوبًا، إلى جانب تلال بركانية منخفضة مثل جبل القرين وقريظة، ما منح المدينة حصانة طبيعية وأثرًا على توزيع العمران وطرق الحركة والتجارة، كما ارتبط بعضها بأحداث تاريخية ودينية مهمة، أبرزها غزوة أحد.(١).

(2)الأودية

تُعَد الأودية من أهم المظاهر التضاريسية في المدينة المنورة، حيث تُحيط بها من مختلف الجهات وتُشكل شبكة هيدرولوجية مؤثرة في الحياة الزراعية والعمرانية. وقد بيّنت الخرائط الطبوغرافية وجود العديد من الأودية التي تصب في محيط المدينة، ومن أبرزها(٢):

تعد أودية المدينة المنورة من العناصر الطبوغرافية الحيوية، حيث يشكل وادي بطحان شريانًا مائيًا رئيسيًا يخترق وسط المدينة ويغذي مزارع قباء وقربان والعوالي، بينما يُعد وادي العقيق أطول الأودية بطول نحو ١٥٠ كم ويمثل محورًا للتوسع العمراني ويوازيه عدد من الطرق الرئيسة. أما وادي قناة فينشأ من تجمع عدة روافد جنوب شرقي المدينة ويمر بجوار جبل أحد شمالًا، ليغذي الخزانات الجوفية عبر تسرب مياهه إلى الطبقات الرسوبية والبازلتية. وقد تحولت بعض الأودية أحيانًا إلى خطر فيضاني أثناء الأمطار الغزيرة، ما دفع الدولة لبناء سدود لحماية العمران وتخزين المياه للزراعة والاستهلاك البشري.

(١)عبد العزيز، و سامح إبراهيم عبد الفتاح، (٢٠٢٢): "جبال المدينة المنورة وحرّاتها في كتب الرحلة العربية خلال العصر العثماني: دراسة تاريخية"، مجلة المؤرخ العربي، ٣٠(١)، ص ٤٢٥-٤٦٢.

(٢)مؤيد، موسى أحمد، هاشم، صائب محمد، و هاشم، يحيى الملاح، (٢٠١٧): "أودية المدينة المنورة وأثرها في أحداث السيرة النبوية"، Journal of Tikrit University for Humanities، ٢٤(11)، ص ١-٣٠.

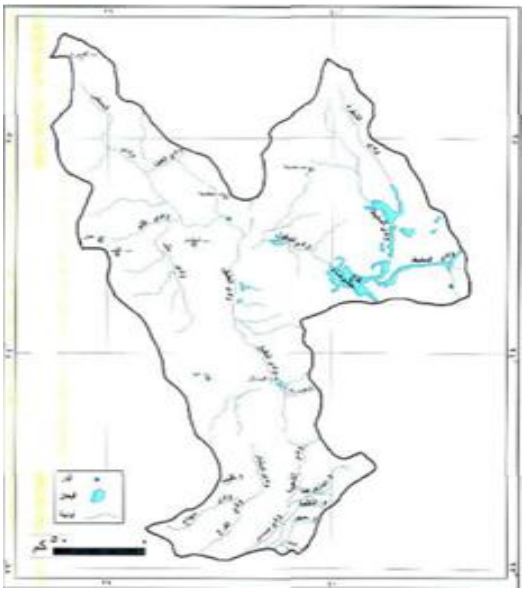

الشكل ٣ أهم الأودية في المدينة المنورة،اعتمادا على اللوحات المليونية باطنس المملكة العربية السعودية - وزارة التعليم العالي ١٤١٩ هـ

(3)الحرات

تحيط الحرات البركانية بالمدينة المنورة من معظم جهاتها، وتمثل امتدادًا طبيعيًا لسلسلة جبال الحجاز، أبرزها حرة رهط أو بني سليم. فهي تشكل من الشرق حرة واقم، ومن الغرب حرة الوبرة، ومن الجنوب حرة شوران، وتتميز بأهمية جيولوجية واقتصادية حيث تخزن المياه الجوفية، وتستخدم صخورها للبناء، وتتحول تربتها إلى أراضٍ صالحة للزراعة، كما شكلت حزامًا دفاعيًا طبيعيًا للمدينة. ومع النمو العمراني الحديث، أصبحت الحرات عائقًا طبيعيًا أمام التوسع، لكن السكان استوطنوا بعض مناطقها تدريجيًا لتصبح أحياء سكنية ضمن النسيج العمراني.([1]).

العوامل المؤثرة في مناخ المدينة المنورة

إن مناخ المدينة المنورة يتأثر بمجموعة متشابكة من العوامل الطبيعية والبشرية التي تتوزع بين عوامل عالمية وإقليمية ومحلية، حيث تعمل جميعها معًا على تشكيل السمات العامة للمناخ والتحكم في أنماط عناصره المختلفة على مدار الفصول. ولا يقتصر أثر هذه العوامل على المناخ العام فحسب، بل يمتد

([1])الهلال، و محمد الأحمد، (٢٠٠٦): "تقرير عن جيولوجية المدينة المنورة ضمن حدود النطاق العمراني"، ص ١-٤٠.

أيضًــا إلى المناخ المحلي الدقيق الذي يظهر في بعض أجزاء المنطقة نتيجة تأثير التضــاريس وطبيعة الغطاء الأرضــي حيث يقع الموقع الفلكي للمدينة المنورة بين دائرتي عرض (٢٤°٢١′ – ٣٦°٢٤′) شــمالًا وخطي طول (٣٩°٣٦′ – ٥٤°٣٩′) شرقًا، بالقرب من مدار السرطان، ما يجعل الصيف حارًا نتيجة سقوط أشعة الشمس شــبه العمودية لفترات طويلة، بينما يكون الشــتاء معتدلًا مع احتمالية انخفاض الحرارة بفعل رياح باردة من شــرق أوروبا وآســيا. وبُعد المدينة عن البحر الأحمر (حوالي ٢٤٠ كم) يقلل من التأثيرات البحرية المعتدلة، فتتســم بمناخ يجمع بين المداري الحار والقاري الجاف. كما تؤثر أنظمة الضــغط الجوي المتعاقبة، من مرتفعات آســيا في الشــتاء ومنخفضــات إفريقيا والمتوســط صــيفًا، على الحرارة والأمطار وحركة الرياح. أما التضــاريس، فالمدينة على ارتفاع نحو ٦٣٥ مترًا، محاطة بالجبال والحرات البركانية مثل جبل أحد وجبل ثور، التي تقيها من العواصف الرملية والرياح الشديدة، وتساهم الصخور البركانية والرسوبية والعمران الحديث في تخزين الحرارة نهارًا وإطلاقها ليلًا، ما يزيد حرارة الليل داخل المدينة(١).

عناصر المناخ الأساسية

- **الحرارة** :تتميز المدينة بارتفاع كبير في درجات الحرارة صــيفًا، حيث يصــل متوســط العظمى إلى ما بين ٤٢ – ٤٣°م في أشــهر يونيو ويوليو وأغســطس، وقد ترتفع أحيانًا إلى أكثر من ٤٧°م. ويرجع ذلك إلى عمودية الشــمس، وقلة الغطاء النباتي، وانتشــار الصــخور البركانية الداكنة. أما في الشــتاء، فتتراوح درجات الحرارة بين الدفء والبرودة حسب تأثير الرياح الشمالية الباردة.

- **الأمطار** :تعد نادرة ومتذبذبة، إذ لا يتجاوز متوســطها الســنوي ١٠٠ ملم، وغالبًا ما تســقط في فصــل الربيع (مارس – مايو) أو في الخريف والشــتاء (نوفمبر – يناير). وتمتاز الأمطار بأنها فجائية وقصــيرة المدة، على هيئة زخات قوية.

- **الرطوبة والتبخر** :تتسم المدينة برطوبة منخفضة لا تتجاوز ٣٢٪ في المتوسط السنوي، وتنخفض إلى نحو ٢١٪ في الصيف. أما معدلات التبخر فهي مرتفعة جدًا، إذ تصل إلى ما يقارب ٤٢٨٥ ملم سنويًا، وهو ما يفوق أضعاف كمية الأمطار، ويؤكد الطابع الصحراوي الجاف لمناخ المدينة.

(١)الرويثي، محمد أحمد، (١٩٩١): "جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة"، المدينة الاقتصادية، المدينة المنورة، ص ٥٠.

- **الرياح** :تختلف مصادر الرياح باختلاف الفصول، ففي الصيف والخريف تهب رياح حارة جافة من إفريقيا، بينما تستقبل في الشتاء رياحًا باردة من الشمال والشمال الشرقي، وأحيانًا رياحًا غربية رطبة من البحر المتوسط. ورغم أن سرعة الرياح قد تصل إلى ٣٦ كم/س، فإن العواصف الترابية نادرة نسبيًا بسبب الطبيعة الصخرية والبركانية للسطح المحيط.

١. انعكاسات المناخ على العمران

لقد أثر المناخ الجاف والحار في المدينة المنورة على أنماط العمران التقليدية، فقام السكان ببناء منازل متلاصقة من الحجارة والطين أو الطوب الفخاري واللبن، تفصل بينها أزقة ضيقة لتوفير الظلال الطبيعية والحماية من أشعة الشمس. واشتملت المباني عادة على طابقين أو أكثر مع قاعات واسعة ومساحات مفتوحة للسقف للتهوية والإضاءة الطبيعية، بالإضافة إلى وجود بئر داخلي لتوفير المياه، واستخدام الفوانيس الزيتية والإسقاطات الخشبية المطوية للتدفئة والطهي. وقد اعتمد الأهالي على أسطح المنازل والأقبية لتلطيف درجات الحرارة، وغطوا الأسطح بجريد وخصف وطين للعزل الحراري، وأدخلوا حدائق وحوض مياه صغيرة لتلطيف الجو. كل هذه الأساليب العمرانية التقليدية كانت حلولًا مبتكرة للتكيف مع المناخ القاسي قبل ظهور وسائل التكييف والتدفئة الحديثة(١).

ثانياً: المدينة المنورة ودورها فى تشكيل المجال الاسلامى

من هذه المدينة المباركة التي شرَّفها النبيّ صلى الله عليه وسلم بقدومه، تحوّلت يثرب إلى أول عاصمة للإسلام والمسلمين، وازدانت باسمها الجديد :المدينة المنوّرة، كما عُرفت بأسماء أخرى مثل طيبة الطيبة وتقع هذه المدينة في قلب الحجاز، على بُعد يقارب مئة كيلومتر شرق البحر الأحمر، وتحيط بها الجبال من ثلاث جهات بينما تنتشر في جهتها الجنوبية بساتين النخيل، لذلك لُقّبت ببلد النخيل. وقد ذكرها المؤرخون منذ القدم، ومنهم بطليموس الذي وصفها بأنها واحة واسعة في بلاد الحجاز ضمن شبه الجزيرة العربية.

عاشت في يثرب عبر التاريخ شعوب وقبائل متعددة؛ فسكَنها العماليق والمعينيون، ثم استوطنها اليهود القادمون من فلسطين بعد خراب القدس على يد بختنصر. ومع انهيار سد مأرب هاجرت قبائل سبأ نحو

---

(١)لمعي، صالح، (١٩٨١): "المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري"، دار النهضة العربية، ص ٢٣-٢٩.

الشمال، وكان من بينها الأوس والخزرج اللذان أعجبا بما في يثرب من خصوبة الأرض ووفرة المياه، فاستقرا فيها إلى جانب اليهود. غير أنّ الأوس والخزرج ما لبثا أن تحولا إلى عدوين متنافرين، واندلعت بينهما حروب طويلة امتدت لأكثر من قرن، عانت فيها المدينة من الانقسام والدماء(١) .

وفي موسم الحج، جاء وفد من أهل يثرب، فالتقى بهم النبيّ صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الإسلام، فآمنوا به وتعاهدوا على نصرته والدفاع عنه، وكان هؤلاء من قبيلتي الأوس والخزرج. وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على تبليغ دعوة الله، يسعى بقلب مفعم بالأمل إلى من يحتضن دعوته ويوفر له الحماية والنصرة، فوجد في أهل يثرب ما كان ينشده. عندها أمر أصحابه بالهجرة إلى يثرب، ثم لحق بهم مهاجرًا مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه. واستقبل أهل يثرب النبيّ صلى الله عليه وسلم استقبال الفرحين، يحيّونه بالأناشيد ويهتفون بقدومه وقبل دخوله المدينة، نزل النبيّ صلى الله عليه وسلم في قباء حيث أسس أول مسجد في الإسلام، ثم شرع في بناء المسجد النبوي بيديه الشريفتين مع أصحابه، حتى علا غبار اللبن صدره الطاهر. وأصبح المسجد النبوي لاحقًا نواة الدولة الإسلامية ومنطلق وحدتها ونظر النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع المدينة المتنوع؛ ففيه الأوس والخزرج واليهود وقبائل متعددة، فعمل على توحيد القلوب وجمع الصف. فانتهت العداوة بين الأوس والخزرج بعد سنوات من الحروب، وساد بينهم السلام والوئام، وأصبحوا هم الأنصار الذين آووا ونصروا(٢).

ثم آخى النبيّ صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وجعل كل اثنين أخوين في الله، فصار المسلمون كالجسد الواحد. ودعا صلى الله عليه وسلم للمدينة بالبركة والمحبة قائلاً :*"اللهم حبّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وبارك لنا في مُدّها وصاعها"*

أما اليهود، فقد اعترف النبيّ صلى الله عليه وسلم بوجودهم وحقوقهم، وكتب لهم وثيقة تاريخية عُرفت بـــ الصحيفة، نظمت علاقة الجميع داخل المدينة، وجعلت الأمن مسؤولية مشتركة. ونصّت على ألا يُؤوى أهل الشر، وأن يتحمل اليهود مع المؤمنين نفقات الدفاع عند الحاجة، وألا يخرج أحد منهم إلا بإذن

---

(١)تاريخ المدينة المنورة لابن شبه لأبي زيد عمر بن شبه النميري البصري ت ٢٦٢ هـ)، تحقيق فهيم محمد شلتوت مكة المكرمة المملكة العربية السعودية ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م، ج ١.

(٢)تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور، لابن فرحون، أبو محمد عبد اللهبن محمد بن فرحون المالكي (ت ٧٦٩هـ)، قابل أصوله وعلق عليه حسين محمد على شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان ، ١٤١٦هـ

النبيّ صلى الله عليه وسلم ومع مرور الوقت، تحولت المدينة المنورة إلى عاصمة قوية للدولة الإسلامية؛ لها نظامها وتشريعها وجيشها وحراسها، وأصبح الرسول صلى الله عليه وسلم قائدها ورئيسها، يُرجع إليه أهلها في فضّ المنازعات، وينعمون في ظل قيادته بالأمن والاستقرار. وهكذا انتقلت المدينة من مرحلة الصراعات الطويلة إلى عهد من الحضارة والطمأنينة(١).

وإلى جانب ذلك، نشطت الحركة العلمية انطلاقًا من المسجد النبوي الذي كان يتنزل فيه الوحي، فكان منارة للعلم والإرشاد، وموردًا يقصده أهل المدينة والمسلمون من حولها. وكانت حلقات الذكر والفقه تتوهج بنور الوحي، فتنشر بين الناس العلم والهدى كما أصبحت المدينة مركزًا حيًا للحياة والعمل والبناء؛ ففي المسجد مجالس المعرفة والتربية، وفي الأسواق حراك تجاري نشيط شجّع عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم، وحثّ الناس على العمل وترك البطالة، وغرس فيهم قيمة عزة النفس واجتهاد السعي(٢).

وبعد أن استقرت دعائم الدولة الإسلامية في المدينة المنورة منذ السنة الأولى للهجرة، أذن الله تعالى للمؤمنين بالدفاع عن أنفسهم بعد ما لاقوه من ظلم واضطهاد، فأنزل قوله الكريم: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٣٩.] وبذلك انتقل المسلمون من مرحلة الصبر على الأذى إلى مرحلة الدفاع المشروع عن الدين والحق.

وفي السنة الثانية للهجرة، شهد التاريخ أولى المعارك الفاصلة بين الإيمان والكفر، وهي غزوة بدر الكبرى التي منح الله فيها المؤمنين نصرًا مؤزرًا بالرغم من قلة عددهم وعتادهم، فقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]ثم تتابعت الأحداث، فخاض المسلمون غزوة أحد، ثم الخندق، وغيرها من الغزوات التي شكّلت صراعًا طويلًا بين الحق والباطل، وكانت جميعها تنطلق من المدينة المنورة التي أصبحت قاعدة للرسالة وموطنًا للقيادة.

وفي السنة الثامنة للهجرة، عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحًا بعد أن أخرجه أهلها منها، ولكنه لم يمكث فيها رغم محبته لها، وفاءً منه بالعهد الذي قطعه للأنصار. فقد خشي الأنصار يومًا أن يعود

---

(١)التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة للسخاوي، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ)، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- (٢)أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي ١٣٤٥ - ١٤٣٦ هـ، لعبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، الطبعة الثانية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، دار الطرفين، الطائف المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ.

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه بعد النصر، فقالوا له :" *يا رسول الله، لعلك إذا نصرك الله أن تتركنا وتلحق بقومك*" ، فابتسم مطمئنًا قلوبهم قائلاً» :أنا منكم وأنتم مني" وبعد غزوة حنين، أكد هذا المعنى العظيم في خطبة مؤثرة قال فيها":والذي نفسي بيده، لو سلك الناس شِعبًا، وسلكت الأنصار شعبًا، لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار"فكان هذا أعظم دليل على ما للأنصار من منزلة في قلبه الشريف.

ومع توسع الإسلام وبعد فتح مكة، بدأت قبائل الجزيرة العربية تفِد إلى المدينة المنورة في السنة التاسعة للهجرة تعلن دخولها في الإسلام، ليشهد التاريخ ما سماه العلماء بـعام الوفود .وقد أنزل الله تعالى سورة النصر تبشر بهذا الحدث العظيم:﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾.

فلقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم رسالة ربه خير تبليغ، وأدى الأمانة كما لم يؤدّها نبي من قبله، حتى اكتمل الدين وتمت النعمة. وكانت المدينة المنورة خلال تلك السنين العشر تفيض بأنوار الوحي، تتلقاه من السماء إلى الأرض، في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وفي مسجده، فتملأ القلوب نورًا والصدور سكينة. وعاشت المدينة في تلك الحقبة عصرًا فريدًا من الإيمان والوحدة والتعليم والهداية ثم جاء اليوم الذي انقطع فيه الوحي، وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى راضيًا مرضيًا. وكانت صدمة المسلمين عظيمة، حتى اضطربت القلوب وارتجفت النفوس من هول المصاب، فوقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثابتًا شامخًا، يعلن كلمته الخالدة التي أعادت الطمأنينة إلى الأمة:"من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"وبذلك ثبت الله الأمة، واستمرت الرسالة بعد انتقال نبيها الكريم(١).

وظلّت المدينة المنوّرة على مرّ السنوات عاصمة الدولة الإسلامية ومركز إشعاعها، يحفظها الله بقدرته من كيد المرتدين والمتربصين، ويقيها شر الفتن. وفي ظلّ هذه الحماية الإلهية، واصل الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم مسيرة البناء التي بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمرت المدينة منبعًا للحضارة، وعاصمة للحكم، ومركزًا للعلم، ومنها كانت تنطلق الجيوش، وتُرسل الولاة والقضاة إلى الأقاليم المفتوحة. ومع اتساع الفتوحات إلى الشام بعد اليرموك، وإلى أقصى بلاد فارس بعد القادسية، انفتحت الدنيا على المسلمين،

(١)الوسائل الدعوية في المسجد النبوي في العصر الحاضر، بركة بنت مضيف بن علي الطلحي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب إشراف يوسف أمين أحمد (دكتور)، المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ

وانسابت خيرات البلاد المفتوحة إلى المدينة، تُجبى إليها الأموال ثم تُوزّع بالعدل على المسلمين، فترتفع مستويات المعيشة، وتزداد قوة الدولة، ويُبنى صرح الحضارة الإسلامية الذي أسهم في تقدم الإنسانية جمعاء(١)

المسجد النبوي الشريف

أما المسجد النبوي الشريف فقد كان قلب المدينة النابض، ومركز حركة التقدم في الدولة الإسلامية. فهو أولًا بيت للعبادة، ومكان يجتمع فيه المسلمون، يتفقد بعضهم أحوال بعض، فتنمو بينهم روابط الأخوة والمحبة. وفي الوقت نفسه كان المسجد أشبه بجامعة كبرى للعلوم الشرعية، تُبنى فيها العقيدة وتُصفّى، ويُغرس فيها التوحيد الخالص. وكان أيضًا مقرًّا يجتمع فيه القادة العسكريون، ومركزًا للقضاء والفتيا وفضّ الخصومات، ومكانًا لاستقبال الوفود القادمة من كل مكان، بل كان أيضًا المنبر الأدبي الذي تُلقى فيه الخطب وتُنشد فيه الأشعار(٢).

ومع تزايد عدد المسلمين والوفود القادمة إلى المدينة، ضاق المسجد النبوي بالمصلين وطلاب العلم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بتوسعته. وبعد الفتوحات، ازداد الإقبال على المسجد، فتولى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسعة كبيرة في جهات المسجد؛ من جهة القبلة بنحو عشرة أذرع، ومن الغرب عشرين ذراعًا، ومن الشمال ثلاثين ذراعًا، حتى بلغ طوله مئة وأربعين ذراعًا وعرضه مئة وعشرين ذراعًا. ثم جاء الخليفة عثمان رضي الله عنه فزاد في جهاته الثلاث، فوسّع القبلة عشرة أذرع، والشمال عشرين، والغرب عشرة(٣).

واستمر المسجد على حاله حتى عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، الذي رأى ضرورة توسعته، فأوكل المهمة إلى واليه عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فأدخل حجرات أمهات المؤمنين في المسجد، وبنى أربع مآذن، ووسع المسجد من الشمال والغرب والشرق. وبعده جاء الخليفة العباسي المهدي فزاد في جهة الشمال

- (١)المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية، لعبد الرحمن مديرس المديرس، الطبعة الأولى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- (٢)الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف لسعود بن بنيان بن عواد الصيدلاني الجهني رسالة ماجستير ، إشراف السعيد محمود السعيد، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

(٣) قاضي، عمر عبدالله : مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لتوسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف ، مجلة البلديات ع ١٥ س ٤ ، محرم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، ص ص ٢٥ - ٣١.

سنة ١٦١هـ مئة ذراع. وفي عام ٦٥٤هـ شبّ حريق كبير أتى على أجزاء من المسجد، فبدأ الخليفة المستعصم بترميمه في العام التالي، لكن وفاته وسقوط الخلافة العباسية أوقفا العمل. ثم أكمل السلطان بيبرس البناء وتكرر الحريق مرة أخرى في رمضان سنة ٨٨٦هـ، فأمر السلطان الأشرف قايتباي بتوسعته من الجهة الشرقية. وفي العهد العثماني، وتحديدًا سنة ١٢٦٥هـ، قام السلطان عبد المجيد بتعمير المسجد كاملًا. وبقي الأمر كذلك حتى أشرق العهد السعودي الزاهر(١).

ومع خطوات الملك عبد العزيز رحمه الله، كان العشب ينبت تحت سنابك حصانه، وكأن الأرض تفرح بقدوم عهد جديد. ومع مشروعه الإيماني العظيم، بدأت الجزيرة العربية تخضرّ وتنهض من جديد، تلوّح رايتها الخضراء في السماء بشعارها الخالد :لا إله إلا الله محمد رسول الله .ومع بزوغ فجر المملكة، أطلّ فجر آخر أشدّ إشراقًا، فجر البترول الذي أصبح وسيلة للقوة والتنمية، وسلاحًا ضد الفقر والحاجة، وركنًا من أركان نهضة شاملة صنعت حضارة جديدة تقوم على الهدى والعطاء والعزة والمجد والكرامة.

كانت المدينة المنوّرة على الدوام موضع عناية الملك عبد العزيز – طيّب الله ثراه – لما لها من قدسية ومكانة في قلب كل مسلم؛ فهي تحتضن مسجد رسول الله ﷺ، أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلا إليها كما ورد في الحديث الشريف» :*لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا* .«وقد كان المسجد النبوي، رغم اتساعه، يضيق بالمصلين، خاصة مع ما ورد في فضل الصلاة فيه» :*صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام* .«ومع كثرة الزوار والمصلين، أصبحت الأبنية المحيطة بالمسجد حاجزًا يحول دون استيعاب هذه الأعداد الكبيرة، فأمر الملك عبد العزيز بتوسعته ليستقبل رواد بيت الله في سكينة وطمأنينة. وحددت الدولة المنازل المراد نزعها وإضافتها للمسجد، وقدّم كثير من أصحابها أملاكهم برغبة صادقة في خدمة الحرم، ومع ذلك فقد عُوّضوا تعويضًا كاملاً. وكانت تلك الخطوة مثالًا على المحبة المتبادلة بين الملك وشعبه، وحرصهم المشترك على البناء والعطاء(٢).

---

(١)المنصوري ، مجدي أحمد : توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف ، توسعة وعمارة الحرمين الشريفين ، الإصدارات الخاصة ، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بالتعاون مع مجموعة بن لادن السعودية ، رجب ١٤١٢هـ/ يناير ١٩٨٢م ، ص ص ٣٩ - ٤٨

- (٢)المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز - ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥م إلى ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، لفهد بن مرزوق بن هلال اللحياني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

وقد شملت توسعة الملك عبد العزيز نحو ستة آلاف متر مربع، ضُمّت إلى المساحة السابقة التي كانت منذ عهد السلطان العثماني عبد المجيد، فأصبح المسجد ضعف مساحته الأولى، وامتلأت أروقته بالمصلين من كل صوب.

وسار أبناء الملك عبد العزيز على نهجه في رعاية المسجد النبوي وتطويره؛ فأمر الملك سعود – رحمه الله – بتوسعة جديدة بلغت ١٦,٠٠٠ متر مربع، وشُيِّدت العمارة بالخرسانة المسلحة، واعتمد فيها الطراز الإسلامي القائم على الأقواس المدببة، وزُيّنت الأعمدة بالموزاييك والتيجان البرونزية المزخرفة. وأقيمت مئذنتان شماليتان بارتفاع ٧٠ مترًا، وطُوّلت الجدران الغربية والشمالية ثم جاءت توسعة الملك فيصل – رحمه الله – التي أضافت مظلات للساحات الخارجية حمايةً للمصلين من الشمس، مع رخام وتبليط وإنارة وتهوية، فبلغت المساحة الإجمالية للجامع وما يحيط به أكثر من ٣٠,٠٠٠ متر مربع. وتبعتها توسعة الملك خالد في الجهة الغربية استجابةً لازدياد أعداد الرواد(١).

وبرز التنافس الشريف بين ملوك آل سعود في خدمة الحرم، فكلما اكتملت توسعة أقبلت أفواج جديدة من المسلمين تزور مسجد الرسول ﷺ، حتى باتت الحاجة ملحة إلى توسعات أعظم وجاءت التوسعة التاريخية الكبرى في عهد الملك فهد بن عبد العزيز – رحمه الله – التي تُعد الأضخم منذ بناء المسجد، إذ أضيف أكثر من ٨٢,٠٠٠ متر مربع من الأراضي والمباني المحيطة، من الجهات الشمالية والشرقية والغربية، حتى بلغت مساحة المسجد مع ساحاته حوالي ٣٣٣,٠٠٠ متر مربع، وهي مساحة تقارب مساحة المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ. كما أُنشئت ست منارات بارتفاع ١٠٤ أمتار تعلوها أهِلَّة مذهّبة يزن الواحد منها أربعة أطنان ونصفًا، واكتمل هذا المشروع عام ١٤١٤هـ.

وأصبح المسجد مكانًا للأمن والطمأنينة، مهيأً بالمكيفات والأنوار والخدمات التي تجعل المصلي مرتاحًا نشيطًا لا يمل العبادة، وتقام فيه حلقات العلم والدروس التي تضيء القلوب وتزكي النفوس.

وفي جنبات المسجد معالم جليلة، من أبرزها المنبر الشريف، والروضة التي قال عنها النبي ﷺ: «*ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة*». وقد فُرشت بالسجاد الأخضر علامة على خصوصيتها، ويشهد الداخل

---

(١) التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز نشأته وتطوره، لعبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة الطلاب الجامعي، مكة - المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

إليها ازدحامًا من شتى الأجناس والألوان واللغات؛ يجتمعون على القرآن والدعاء والصلاة، دون تفاضل بين عربي وعجمي أو غني وفقير، فالرابطة هنا رابطة الإيمان وبالقرب من الحجر النبوي تقع الصُّفّة، التي كانت مأوى للفقراء من الصحابة الذين تفرغوا للعلم والجهاد، وأشهرهم أبو هريرة رضي الله عنه، الذي تخرّج من تحت يده أكثر من ثلاثمائة من أهل الصفة، صار كثير منهم ولاة وقادة.

أما الحجرة النبوية الشريفة فتضم قبر الرسول ﷺ، ثم قبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقف الزائر بخشوع يسلم عليهم والحب يملأ قلبه. وفوقها القبة الخضراء التي بُنيت منذ عهد الملك قلاوون ثم جُددت في عهد السلطان قايتباي بعد الحريق الثاني، فشيدها بالحجارة السوداء وأضاف فوقها قبة ثانية. وقد شارك أهل المدينة في بنائها طواعية ومحبة؛ فهم امتداد للمهاجرين والأنصار الذين عمروا هذا المسجد أول مرة وتضم القبة شباكًا مفتوحًا من الداخل والخارج، يُفتح في صلاة الاستسقاء، وبالمسجد أساطين تاريخية لكل منها قصة في عهد النبي، أهمها الأسطوانة المخلقة، وأسطوانة التوبة لأبي لبابة رضي الله عنه.

ومن معالم المدينة كذلك مسجد قباء، أول مسجد أسسه النبي ﷺ عند قدومه إلى المدينة، وقد قال ﷺ: *«الصلاة في مسجد قباء كعمرة»*. وفيه موضع مبرك الناقة وبئر أبي أيوب. ثم مسجد القبلتين الذي شهد تحوّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، ومسجد الغمامة ومساجد الفتح، والمساجد السبعة، ومسجد الجمعة، وجبل أحد الذي قال فيه النبي ﷺ: *«أحد جبل يحبنا ونحبه»*، إضافة إلى جبل الرماة ومقبرة شهداء أحد وبقيع الغرقد، حيث دُفن أهل المدينة منذ عهد الرسول ﷺ.

أما على الصعيد الثقافي، فقد كانت المدينة المنورة منارة الفكر الإسلامي منذ خمسة عشر قرنًا، إذ انتقلت إليها العلوم مع الهجرة، وأصبحت حاضرة الإشعاع العلمي، حيث كان الأسرى في بدر يفدون أنفسهم بتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة، واستمرت المدينة مركزًا للعلم والثقافة عبر التاريخ وفي العهد السعودي الزاهر تضاعفت مكانتها الثقافية؛ فازدهرت فيها المؤسسات العلمية، وبرز الأدباء والعلماء والأساتذة الذين أسهموا في بناء الإنسان فكريًا وروحيًا، وتنوع الإنتاج الثقافي بين الشعر والفنون والندوات والمحاضرات. وكان النادي الأدبي في المدينة ثمرة من ثمار هذه النهضة، إضافة إلى الصالونات الأدبية التي فتح فيها المثقفون بيوتهم لعشاق الكلمة، وأسهمت الصحف المحلية في نشر الوعي والمعرفة، أما الجامعة

الإسلامية، فهي منارة عالمية تستقبل طلاب العلم من مختلف القارات، من آسيا وأفريقيا وأوروبا، فينهلون من علوم الشريعة والدعوة، ويعودون إلى بلدانهم دعاة علم وهدى وسلام(١).

(١)الهذلول ، صالح بن علي : المدينة العربية الإسلامية - أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية ، الرياض ، ١٩٩٤م.

الخاتمة

النتائج

أظهرت الدراسة أن المدينة المنورة لم تكن مجرد موقع جغرافي، بل شكلت قلب المجال الإسلامي المبكر، إذ تحولت يثرب إلى أول عاصمة للإسلام بعد قدوم النبي ﷺ، وازدان اسمها بالمدينة المنوّرة وبلقب طيبة الطيبة وبلد النخيل، لتصبح مركزًا حضاريًا ودينيًا استقطب قبائل متعددة وأسس وحدة المجتمع الإسلامي. فقد ساهم الموقع الجغرافي الاستراتيجي للمدينة في قلب الحجاز، على بعد حوالي ١٠٠ كم شرق البحر الأحمر، وتجاورها مع الجبال من ثلاث جهات، في حماية المستوطنات وتأمين موارد طبيعية مثل المياه والزراعة، كما أسهم في توجيه التوسع العمراني عبر الأودية الداخلية مثل وادي بطحان ووادِي العقيق.

وقد أثبتت الدراسة أن تضاريس المدينة الطبيعية، من جبال وأودية وحرات بركانية، لعبت دورًا رئيسيًا في حماية السكان من المخاطر البيئية والحروب، وساهمت في تحديد مسارات الامتداد العمراني، بينما كانت الأودية تمثل شرايين طبيعية للزراعة وتدفق المياه، وساعدت الحرات البركانية في توفير حماية طبيعية للمدينة من الغزوات، كما ساعد المناخ الحار والجاف السكان على تطوير أساليب معمارية مبتكرة للتكيف مع الحرارة العالية، مثل تلاصق المباني، استخدام الحجارة والطين، وتوفير الآبار الداخلية.

وعلى الصعيد الاجتماعي والسياسي، أظهرت الدراسة أن النبي ﷺ أسس مجتمعًا متماسكًا في المدينة المنورة، موحدًا بين المهاجرين والأنصار، ومؤسسًا لدولة إسلامية متكاملة تعتمد على العدالة والتنظيم. فالمسجد النبوي الشريف لم يكن مجرد بيت للعبادة، بل مركزًا للتعليم والدعوة والقيادة والإدارة، حيث نشطت الحركة العلمية، وعقدت المجالس الشرعية، وشهدت الأسواق التجارية نشاطًا اقتصاديًا ديناميكيًا، ما جعل المدينة منارة حضارية وإدارية للجزيرة العربية ومنطلقًا لانتشار الإسلام.

كما برزت المدينة كمركز عسكري واستراتيجي، فقد كانت قاعدة للغزوات الكبرى مثل بدر وأحد والخندق، وأصبحت نموذجًا للدفاع عن الدين والحق، مع تحويلها لاحقًا إلى مركز إشعاع ثقافي وعلمي، وهو ما استمر خلال عهد الخلفاء الراشدين والعصور اللاحقة، حتى العهد السعودي، حيث تضاعفت مكانتها الدينية والحضارية من خلال توسعات المسجد النبوي الشريف وازدهار المؤسسات العلمية والثقافية

التوصيات

١. الحفاظ على الهوية التاريخية والجغرافية للمدينة :يجب حماية الأودية، الحرات، والجبال المحيطة بالمدينة، باعتبارها عناصر طبيعية هامة ساهمت في تطورها التاريخي وشكلت قاعدة لاستقرار السكان والأنشطة الاقتصادية والدينية.

٢. توجيه التخطيط العمراني بعناية :مراعاة الامتداد الطبيعي للأودية وتجنب البناء في مناطق معرضة للفيضانات، مع تطوير بنية تحتية تدعم التدفق الطبيعي للمياه وتحمي السكان من المخاطر البيئية.

٣. تعزيز الدراسات التاريخية والجغرافية :الاستفادة من المعرفة التاريخية والجغرافية للمدينة في تصميم مشاريع حضرية مستدامة، تجمع بين الحداثة والهوية الدينية والتاريخية.

٤. الاستثمار في التعليم والثقافة :تعزيز مكانة المدينة كمركز علمي وثقافي من خلال دعم الجامعات والمدارس والمؤسسات العلمية، بما يعكس إرثها التاريخي كمصدر إشعاع للعلم والدعوة.

٥. صيانة وتطوير المعالم الدينية :الاستمرار في توسعة وتطوير المسجد النبوي الشريف ومرافقه لتلبية احتياجات الزوار والمصلين، مع الحفاظ على الطابع المعماري الإسلامي والتاريخي للمباني المحيطة.

الرؤية التخطيطية المستقبلية

تستهدف الرؤية المستقبلية دمج التخطيط العمراني الحديث مع التاريخ والجغرافيا الطبيعية للمدينة المنورة، بحيث تحافظ على الهوية التاريخية والدينية، مع تطوير بنية تحتية مستدامة تحمي المدينة من المخاطر البيئية. وتشمل هذه الرؤية:

- توسيع المساحات العامة والخضراء :الاستفادة من التضاريس الطبيعية لتوفير مناطق مفتوحة، مع الحفاظ على الأودية كممرات بيئية طبيعية.
- الحفاظ على التراث العمراني :صيانة المباني التاريخية والمناطق القديمة، مع دمجها في مشاريع التطوير العمراني الحديث بطريقة تحافظ على الطابع الثقافي والإسلامي.

- الاستثمار في التعليم والعلم :تعزيز دور المدينة كمركز عالمي للعلم الشرعي والفكر الإسلامي، وتطوير الجامعات والمدارس والمراكز البحثية لجذب الطلاب والباحثين من مختلف أنحاء العالم.

- تطوير البنية التحتية والخدمات :تحسين شبكات النقل والمرافق العامة بما يتوافق مع التوسع السكاني، مع مراعاة حماية البيئة الطبيعية والتاريخية للمدينة.

- المحافظة على المسجد النبوي ومرافقه :الاستمرار في توسعة المسجد، وتطوير خدمات الزوار والمصلين، مع الحفاظ على القيم المعمارية والدينية، لضمان تجربة روحية وعلمية متكاملة.

قائمة المراجع

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة للسخاوي، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ)، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز نشأته وتطوره، لعبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة الطلاب الجامعي، مكة - المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الحربي، شفا رضي مرشد و داودي محمد بن العباس، (٢٠٢٤): "أثر الزحف العمراني على نظام أودية المدينة المنورة من خلال تطبيقات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية"، المجلة المصرية للتغير البيئي، مج ١٦، رقم ٥، ص ٢٢٣-٢٤٥.
- الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف لسعود بن بنيان بن عواد الصيدلاني الجهني رسالة ماجستير ، إشراف السعيد محمود السعيد، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ
- الرويثي، محمد أحمد، (١٩٩١): "جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة"، المدينة الاقتصادية، المدينة المنورة، ص ٥٠.
- العبيدي، حنان بنت حسن مربع و أبو كريشة، ناريمان علي درويش، (٢٠٠٩): "العلاقات المكانية بالمدينة المنورة: دراسة جغرافية تحليلية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، المدينة المنورة، ص ٣٥-١٠٠.
- المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة
- المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز - ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥م إلى ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، لفهد بن مرزوق بن هلال اللحياني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- المنصوري ، مجدي أحمد : توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف ، توسعة وعمارة الحرمين الشريفين ، الإصدارات الخاصة ، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بالتعاون مع مجموعة بن لادن السعودية ، رجب ١٤١٢هـ/ يناير ١٩٨٢م ، ص ص ٣٩ - ٤٨

- الهذلول ، صالح بن علي : المدينة العربية الإسلامية - أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية ، الرياض ، ١٩٩٤م.
- الهلال، و محمد الأحمد، (٢٠٠٦): "تقرير عن جيولوجية المدينة المنورة ضمن حدود النطاق العمراني"، ص ١-٤٠.
- الوسائل الدعوية في المسجد النبوي في العصر الحاضر، بركة بنت مضيف بن علي الطلحي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب إشراف يوسف أمين أحمد (دكتور)، المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ
- أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي ١٣٤٥ - ١٤٣٦ هـ ، لعبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، الطبعة الثانية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، دار الطرفين، الطائف المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ
- تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور، لابن فرحون، أبو محمد عبد اللهبن محمد بن فرحون المالكي (ت ٧٦٩هـ)، قابل أصوله وعلق عليه حسين محمد على شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان ، ١٤١٦هـ
- تاريخ المدينة المنورة لابن شبه لأبي زيد عمر بن شبه النميري البصري ت ٢٦٢هـ)، تحقيق فهيم محمد شلتوت مكة المكرمة المملكة العربية السعودية ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م، ج ١.
- تاريخية، لعبد الرحمن مديرس المديرس، الطبعة الأولى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- خوجلي، ودة، و مصطفى، محمد، (٢٠٠٢): "مع الدكتور الرويثي في كتابه: جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة"، ص ١٨٦-١٩٢.
- رجب، عمر الفاروق السيد، (١٩٧٦): "المدينة المنورة - العلاقات المكانية واقتصاديات الموقع"، مجلة الخفجي، العدد ٢٨، ص ٢٣-٤٠.
- رجب، عمر الفاروق السيد، (١٩٧٦):مرجع سابق،ص٥٤-٦١

- عبد العزيز، و ســـامح إبراهيم عبد الفتاح، (٢٠٢٢): "جبال المدينة المنورة وحرّاتها في كتب الرحلة العربية خلال العصر العثماني: دراسة تاريخية"، مجلة المؤرخ العربي، ٣٠(١)، ص ٤٢٥-٤٦٢.
- عمر، محمد علي، (٢٠١٨): "مواقع الســياحة الدينية في المدينة المنورة في ضــوء رؤية المملكة ٢٠٣٠ باستخدام نظم المعلومات الجغرافية"، المجلة العلمية بكلية الآداب، ٢٠١٨(٣٣)، ص ١٩٨-٢٦٨.
- قاضي ، عمر عبدالله : مشـروع خادم الحرمين الشـريفين الملك فهد لتوسـعة وعمارة المسـجد النبوي الشريف ، مجلة البلديات ع ١٥ س ٤ ، محرم ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ص ص ٢٥ - ٣١.
- لمعي، صـــالح، (١٩٨١): "المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري"، دار النهضـــة العربية، ص ٢٣-٢٩.
- مكي، محمد شـــوقي بن ابراهيم، و محمد شـــوقي بن ابراهيم، (٢٠٠٨): "اتجاهات التغيير في النمو والتركيب السكاني في منطقة المدينة المنورة (١٣٩٤-١٤٢٥هـ) ١: النمو والتوزيع"، ص ١-٢٥.
- مؤيد، موســى أحمد، هاشــم، صــائب محمد، و هاشــم، يحيى الملاح، (٢٠١٧): "أودية المدينة المنورة وأثرها في أحداث السـيرة النبوية"، Journal of Tikrit University for Humanities، ٢٤(11)، ص ١-٣٠.